العدد (4076) السنة الخامسة عشرة - السبت (2) كانون الاول 2017
http://www.almadapaper.net Email: info@almadapaper.net

للثقافة مفهوم أوسع خارج عن الأدبيات والفنون

حين تكون الثقافة أداة للتعامل مع الحياة

زينب المشاط

يتسع مفهوم الثقافة ليشمل فرشة واسعة من الأنشطة البشرية المبدعة، لاسيما إذا ما ذهبنا إلى التعريف الأنثربولوجي لها، حيث يذكر الناقد سعد محمد رحيم أن" البشر جميعاً يتحركون في فضاءات ثقافية خاصة بهم، ويسلكون تبعاً لقيم تلك الثقافات، لكن قلة منهم فقط من تكون وظيفتهم الإنتاج في الحقل الثقافي." مؤكداً أنه" حقل آخذ بالتمدد والتفاعل والتداخل يوماً بعد آخر."

سعد محمد رحيم

شاكر لعيبي

صلاح عباس

جاسم عاصي

سلمان داود محمد

الاعتقاد السائد عن أن الثقافة فقط في الإنتاج الفكري والأدبي والسينمائي والمسرحي قاصر، حيث يذكر رحيم إن"هناك ثقافة رفيعة خاصة بالنخبة وأخرى شعبية خاصة بفئات أوسع، لكن الحدود باتت تنفتح بين الأشكال المختلفة للثقافة. فالموسيقيون الكبار، على سبيل المثال، باتوا يستعينون بالآلات والألحان الشعبية ويطعِّمون بها أعمالهم، ليرتقوا بمستويات منجزهم الإبداعي، وقل الشيء نفسه في مجالات المسرح والسينما والرواية والشعر وغيرها. حتى صارت الصحافة الورقية أيضاً، ومن ثم قنوات الإعلام المسموعة والمرئية، وبخاصة التلفزيون، وأخيراً مواقع التواصل الاجتماعي على الشبكة العنكبوتية فضاءً لمثل هذا الامتزاج الخلاّق."

لا نجد عناية كافية بموضوعات الثقافة بشكل واسع في صحافتنا، وفي مؤسساتنا الثقافية والإعلامية عموماً، ويعود رحيم بالخطأ في "استعدادات المحررين والإداريين بقدر ما هو في عدم وجود مختصين يمكن أن يكتبوا ضمن هذه المجالات ومنها الأزياء والديكور والفنون السياحة وغيرها."

نحن اليوم في القرن الواحد والعشرين مع ظاهرة العولمة وعصر ما بعد الحداثة، لابد من أن نتعرّف على ثقافات الشعوب تلك التي تشمل موروثها وأزياءها وتقاليدها وعمارتها إلى جانب آدابها وفنونها الراقية، رحيم يعتقد إن الحل "يكمن في توسيع فهمنا للثقافة وإنتاجها وتسويقها، ووضع ستراتيجيات في صحافتنا ومؤسساتنا الثقافية والإعلامية بهذا الخصوص تجعل من الثقافة ممارسة ثرية وعميقة ترتقي بالذائقة وبالوعي وبالسلوك في الوقت نفسه."

هذه الحلول التي وضعها سعد محمد رحيم من شأنها أن تحقق فهماً أعمق لهويتنا المركّبة ووجودنا بين بشر من مشارب مختلفة في العالم. وهو الأمر الذي يجعلنا أكثر تفهماً للاختلاف ولحقوق الإنسان الكونية ويرسخ في نفوسنا مبدأ التسامح وتقبل الآخر كنظير لنا في الخلق والإنسانية.

الثقافة قضية تتجاوز وحدانية الكتابة في (الآداب) و(الفنون) وحدهما، يذكر الشاعر والكاتب شاكر لعيبي إن " علينا الاعتراف في البدء أن مفردة (الثقافة) مشحونة في الوعي العربيّ بدلالة نبيلة. وأنها تتمحور حول العمل الكتابيّ (شعراً وقصة) والجامعيّ (بحثاً وأطروحةً وشهادةً). وأن ذلك كله يُنْتج شخصية مُفكِّرة، مُنظِّرَة، مُنْتِجة للأفكار والنصوص، وأنها شخصية رفيعة بالضَرورة."

يتوجّب اقتراح تعريف آخر لمفهوم الثقافة، غير إنتاج النصوص الأدبية والفكرية، لكي نرى فيما إذا وُجدت الثقافة في سياق الدالة الإيجابية للمفردة أم لم تجد.

وهنا يُشير لعيبي قائلاً " فرَّقتُ مرةً في مادة نشرتُها في المدى بين (الثقافة) و(المثقفين). ولنبدأ أولاً بالتعريف الذي تقدّمه منظمة (اليونسكو) للثقافة: (إنها مجموع السمات المتميّزة روحياً ومادياً وفكرياً وعاطفياً التي تسمُ بميسمها مجتمعاً أو فئة اجتماعية. ما عدا حَقلي الفنون والآداب، تنطوي الثقافة على نمط الحياة والقوانين الأساسية للكائن البشري وأنظمة القيم والتقاليد والمعتقدات)."

ومن هنا يؤكد لعيبي أن " كل ما تم الحديث عنه وتقديمه حول الثقافة والمثقفين يشتغل صُراحاً على نطاق عريض في جُلّ مفاصل الحياة الاجتماعية والسياسية واليومية بل التفاصيل الأكثر حميمية، بينما لا تشتغل الآداب والفنون إلا في نطاق النخب الضيقة. من هنا تفريقي بين (الثقافة) و(المثقفين) = النخبة."

فعلى المستوى العراقي الذي يمكن أن يكون مثالا لجلّ البلدان العربية الأخرى، لن يختلف أحد، بأن أنساق الحياة والمعتقدات والقيم ما زالت تنهل الكثير من مصادر عفا عليها الزمن،القبيلة على سبيل المثال الواضح، وقيمها الروحية وسبل تدخلّها في الحياة الشخصية والقانونية للأفراد، وهنا يقول لعيبي "أن الشعر الشعبي العراقيّ، المنتشر والمحبوب،يُعطي أمثلة ونماذج جديدة بارزة (للثقافة) ضمن التعريف الذي نستند إليه، لجهة استناده إلى معايير الماضي ومفاهيمَ الرجولة والنخوة القبلية."واجداً أن هذه المعايير "هي الاسم الآخر للثقافة العراقية دون شك."

لماذا تغفل المجلات والدوريات الثقافية العربية هذا المعنى للثقافة؟ ولما وَضعتْ لوقتٍ طويل رقص الشعوب والوشم والختان والموضة، على سبيل المثال لا الحصر، في إطار ليس إطار (الثقافة) الرفيعة، وفي أحسن الأحوال في إطار أنثروبولوجي متخصّص (إذا لم يُنظر للأنثروبولوجيا نفسها بريبة)؟ هنا يشير لعيبي قائلاً " أعتقد أن عدم اهتمام الدوريات العربية بالثقافة بمعناها الأوسع، ناجم عن تصور مثاليّ للثقافة، لا وجود له في الواقع." مُبيناً "من الواضح أن الانحناء على الثقافة بالمعنى الذي نلحّ عليه هنا، يعني انفتاح هذه الصحافة – لو انفتحت بشكل منهجيّ وليس سطحياً ومن باب الإثارة السهلة – على قضايا جوهرية مستعصية، على إشكاليات يُراد طمس بعضها، والخجل من قول بعضها، وعدم الاعتراف ببعضها، أو خشية الاصطدام بمنظومات فكرية راسخة، متخلّفة أحياناً، تسعى لتأبيد (الثقافة) لصالحها."

الثقافة قيافة، تعبّر عن هويّة المجتمع على المستويين الشكلي والمضموني وما يتخللهما من سلوكيات ورؤى، حيث يُشير رئيس تحرير مجلة أفاق أدبية سلمان داوّد محمد إلى أن" جملة من المضامين المجتمعية تنبثق من متون الشعر والقصة والرواية وغيرها من المدونات الأدبية والمعرفية الأخرى، وهكذا الحال مع الفنون المسرح والفنون التشكيلية، التي تعتمد في بث مساحة ليست بالقليلة من خطابها الإنساني والجمالي والدلالي عبر الأزياء والأشكال والألوان وسواها." مؤكداً هنا أننا بذلك سنكون" أمام مفهوم (الثقافة الثقيلة) كما يطلق عليها غالباً على وعي المجتمع الثقافي العميق الذي يرى ما لا تراه أغلب الصحف والمجلات التي تكرّس (الثقافة الخفيفة) الإستهلاكية وهي تخصص مساحات شاسعة على صفحاتها الملونة على سبيل المثال لزواج وطلاق وفضائح عارضات الأزياء من دون الإشارة الى قيمة هذا الفن بوصفه ثقافة راقية في حيوات الشعوب."

هذه المناحي التي أشار إليها محمد تتجاور في التعاطي الساذج مع الفنون الشعبية، فهو يؤكد أننا"ما زلنا رهينة ما قالته (التُنْكَة) و(المَهَفَة) و(الطنطل) و(خدري الجاي خدري) وهكذا."

مُبيناً" إن أمراً كهذا يقودنا الى التفكير ملياً بتأسيس مطبوعات متخصصة ومتعددة تعنى بشؤون المجتمع والفن الشعبي والموضة وفن اللياقة ومن هي على هذه الشاكلة ،ولم شمل تلك الدراسات والأفكار الجادة في هذا الشأن والمهدورة عادة ويتيمة ومسفوحة على بعض صفحاتنا الثقافية الراهنة."

إن المتتبع لمسارات الثقافة العراقية المعاصرة منذ مطلع القرن الماضي ولحد الآن، سيجد نفسه بمواجهة أسئلة حائرة يصعب الإجابة عنها، ذلك أن تفجر الثقافة والاداب والفنون بشكل متسارع، ولافت للانتباه، وفي فترة مبكرة، ومن ثم انتاج زخم هائل من العطاءات الابداعية الخلاقة التي وضعت أسس الريادتين الزمنية والابداعية، كريادات السياب ونازك وبلند وجواد سليم وخالد الرحال والجواهري والتكرلي والكثير من الاسماء الكبيرة التي احتلت مساحة واسعة من حيز الوعي الثقافي والمعرفي والفني.

وهنا يجد الناقد التشكيلي صلاح عباس أن" على الرغم من رصانة العطاءات المقدمة من لدن مبدعينا العراقيين وانشغالهم بالنوع الثقافي، وتحقيقهم أعلى حالات التأثير على صعيدي الثقافة العراقية والعربية على حد سواء، بيد هناك الكثير من الاهمال لأفرع ثقافية اخرى كان ينبغي دراستها على أسس علوم الانثروبولوجي والسوسيولوجي وعلوم التاريخ والجمال، ومن هذه الأفرع الثقافية المهملة ثقافة الأزياء وكما يعرف الجميع بان الأزياء في تراث الشعوب تمثل الوظيفة والهوية والانتماء العرقي وللأسف الشديد لم نجد باحثاً اكاديمياً درس هذا الفصل الهام في حياة المجتمع العراقي على نحو موضوعي وعلمي."

أن الثقافة العراقية تفتقر لثقافة أدب السيرة، التي يؤكد عباس بأن "هذا النوع الثقافي الخاص الذي من شأنه أن يفتح نوافذ على الثقافة المسكوت عنها، مع علمنا بان صفحات تاريخ بعض الشخصيات تمثل صفحات تاريخ البلاد في الحقب المختلفة وبانعدام ثقافة أدب السيرة ضاعت علينا الكثير من الحقائق المهمة."

بعد أن كانت الثقافة محصورة في الضرب الأدبي والسياسي صارت تشمل ضروب مفاصل الوجود في مفهومها الاوسع، حيث يذكر الشاعر والكاتب جاسم عاصي أن "في واقعنا الذي توالت عليه المتغيرات ذات النمط المشوب بضيق الأفق، إضافة الى الانحدار السياسي الذي يواجهنا جعل العقل يمارس الاستسهال في تحديد مفهوم الثقافة."

يبدو أن تعامل الانسان مع المفهوم الواسع للثقافة يكون متعايش معه فيذكر عاصي "إن الانسان يتربى على المفهوم الواسع للثقافة، وهنا حين يتبادر إلى أذهاننا مفهوم الثقافة بأنها لن تتمثل امامنا بحدود ضيقة، فالسعة في المفهوم يجد له فهما عبر المطبوع الذي يحفز الاجتهاد."

ويجد عاصي أن "موضوعة الثقافة بمفهوم واسع متداخل بإشكالية الثقافة وعلاقتها بالانسان عامة، وليس الانسان المثقف فحسب، لأننا اذا اعتمدنا الاخيرة فستصبح معرفة وليست ثقافة."

مؤكداً أننا" بحاجة إلى توسيع افقنا حول مفهوم الثقافة ومن ثم تحويلها إلى أداة لفهم الحياة وبنيانها بشكل يضمن إلى الانسان الرفاهية وكرم العيش."

موسيقى السبت

ابنة سنغر

ثائر صالح

أول شيء يرد في ذهننا عند ذكر اسم سنغر، هو ماكنات الخياطة من ماركة سنغر الشهيرة. انتشرت هذه الماكنات متينة الصنع التي تدار بدواسة القدم في كل العالم منذ النصف الثاني للقرن التاسع عشر، ولربما كانت موجودة في أكثر البيوت العراقية في القرن العشرين. تميزت الماكنة بدقتها وكانت جميلة التصميم رشيقة الجسم كالغزال أو الفرس العربية، خشبها متين ويقاوم الزمن. أسس الشركة التي تنتجها الامريكي اسحق مريت سنغر (١٨١١ – ١٨٧٥) سنة ١٨٥١، وكان المعمل الأول في نيوجرسي بالولايات المتحدة وبدأ الانتاج سنة ١٨٦٣. انتقل سنغر للعيش في باريس بعد الحرب الأهلية الأمريكية، ثم انتقل منها الى بريطانيا بعد الحرب الفرنسية البروسية سنة ١٨٧١ وأثرى من اختراعاته ومن مصنعه ثراءً خيالياً. تزوج سنغر عدة مرات وكانت له علاقات غرامية عديدة وخلف ٢٤ طفلاً، بينهم ابنة اسمها وينريتّا (ولدت سنة ١٨٦٥) من زوجته الثانية باريسية الولادة. وينريتّا سنغر هذه هي الشخصية التي أود الحديث عنها اليوم.

عاشت وينريتّا أغلب حياتها في باريس حتى وفاتها هناك في ١٩٤٣. كانت عازفة بارعة على البيانو وعلى الأورغن، وكثيراً ما كانت تقدم الأعمال الموسيقية بنفسها. كما كانت في نفس الوقت فنانة تشكيلية بارعة، اقيمت لها العديد من المعارض. أمتلكت ثماني أدوات وترية من صنع أنتونيو ستراديفاري (١٦٤٤ – ١٧٣٧) أشهر من صنع الأدوات الوترية، وتبلغ قيمة الواحدة منها اليوم مئات الآلاف من الدولارات. تزوجت وينريتّا مرتين، من كونت فرنسي ثم من الأمير أدموند دو بولينياك، حتى تضمن تواجدها في المحافل التي يرتادها نبلاء ذلك الوقت. لكنها لم تكن في حاجة إلى المال إذ ورثت من أبيها ثروة طائلة عندما بلغت الثامنة عشرة. بدأت تبذل ثروتها في رعاية الفنون وتأسيس الجمعيات الخيرية ودعم الفنانين، منهم موريس رافيل وكلود ديبوسي وأريك ساتي وفرانسيس بولانك وداريوس ميّو من الفرنسيين، والألماني كورت فايل والاسباني ماويل دي فايا، وكانت لها صداقة متينة وحميمة مع الموسيقي غابرييل فوريه. كان لها صالون ثقافي شهير، أقامت فيه الحفلات الموسيقية بانتظام، وكانت القاعة الرئيسة في قصرها تتسع لمئتي شخص، وهناك قاعة أخرى أصغر خصصتها للأصدقاء. وشهدت هاتان الصالتان تقديم الكثير من أعمال التي طلبتها وينريتّا من ألمع الموسيقيين الفرنسين وبذلت الكثير من المال في ذلك دعماً للموسيقيين. كان الروسي ايغور سترافنسكي من بين الموسيقيين الذين التقتهم وغدا أشبه بالمؤلف الشخصي لها، كانت تدفع له بسخاء. ساعدت عبر مؤسستها (مؤسسة سنغر – بولينياك وتأسست في ١٩٢٨) في تمويل دراسة العديد من الموسيقيين الذين لمعوا فيما بعد، منهم عازفا البيانو الشهيران البولوني أرتور روبنشتاين والاوكراني فلاديمير هوروفيتس، والمؤلفة الانكليزية أثل سميث وكذلك الفرنسية ناديا بولانجيه التي تولت إدارة الحفلات الموسيقية بعد وفاة وينريتّا دو بولينياك، لغاية وفاة بولانجيه في ١٩٧٩. دعمت كذلك اوركسترا باريس السيمفونية وأوبرا باريس. ولم تقتصر على دعم الفنون بل الخدمات العامة كذلك، فقد شيدت دوراً سكنية للفقراء، وملاجئ للفقراء والمحتاجين بالتعاون مع المعماري الشهير لو كوربوزيير.

في شارع المتنبي

مع تغير الفصول يعود شارع المتنبي لسابق ألقه، حيث زحام المارة، وتسارع خطاهم بين المكتبات ومساطب الكتب التي باتت تفترش الأرض وتُغطي الجدران، النشاطات تتزايد مع تزايد الحاضرين، ومع جمال الطقس، فبين المارّة، سنجد العديد من الفعاليات منها الأعمال الخيرية، وفعاليات خاصة بالاحتفاء بمولد رسول الأمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، اضافة إلى فعاليات الرسامين الجوالين التي يمكن لنا أن نجدها في باحة المركز الثقافي البغدادي، والأعمال اليدوية التي تقدمها بعض السيدات المحترفات بصناعة هذه الأعمال والاكسسوارات..

متابعة: المدى

المرأة في الحراك السياسي

من أهم الندوات التي شهدها شارع المتنبي صباح يوم أمس الجمعة كانت جلسة خاصة عن "العنف السياسي ضد المرأة" على قاعة جواد سليم، عقد الجلسة الملتقى الثقافي في المتنبي وبإدارة الروائي صادق الجمل، الذي أشار إلى أهمية دور المرأة سياسياً إلا أن منحها فرصة سياسية بات أمراً ضئيلاً جداً بسبب سطوة الذكور في هذا الجانب...

ألقت المحاضرة د. أزهار الشيخلي قائلة "أن المرأة لا تنتخب المرأة في حال ترشيح أي سيدة لدخول البرلمان وحصولها على عدد من المقاعد." مؤكدةً أن "أغلب الأسماء السياسية النسوية التي نجدها تحوز مقعداً في البرلمان العراقي هي بالاساس حائزة على الكوتة."

وهنا جاءت مداخلة القاصة والكاتبة رغد السهيل قائلةً " شيء بديهي أن لا نصوّت لنساء البرلمان العراقي، فهنّ لا يُمكن أن يمثلن المرأة العراقية لا بالتصرف ولا بأسلوب التفكير، كيف لنا أن نصوّت لهذا النوع من النساء ولا نعرف من هن اللواتي يمثلن في البرلمان!."

العراق والصحافة العالمية

الجلسة الثانية التي شهدتها قاعة مصطفى جواد دارت حول موضوعة "العراق في سخرية الاعلام والصحافة العالمية" وهي ندوة أقامتها رابطة مقفي ديالى، حضرها اسماء مهمة مثل الكابتن كريم صدام لاعب كرة القدم الدولي السابق قائلاً " أن الصورة التي تُنقل عن العراق عبر الاعلام الخارجي العالمي، باتت تتسبب بتراجعنا آلاف السنوات." مؤكداً أننا " من أوائل المذنبين في نقل تلك الصورة عنّا إلى الخارج."

بدورها ذكرت د. رحاب العبودي " إن قلة الثقافة التي يتمتع بها الشباب والجيل الحالي هي إحدى مسببات التصاق تُهمة عدم اللياقة لمن يمثل هذا البلد في الظهور الاعلامي، فغياب الثقافة العامة سبب كبير وراء ذلك نحن نرى هذا ينطبق حتى على سياسيينا حين يبعثون لبلد ما كممثلين." مؤكدةً "أن على كل فرد أن يهتم بالقرأة لتكوين صورة ثقافية فكرية ضمن سلوكياته الشخصية من شأنها أن تمنحه هذا التطور الفكري والانساني الذي يجعله مؤهلاً للظهور أمام الناس عالمياً وعربياً ومحلياً.

جمعية الثقافة هي الحل

وخلال جلسة حاضر فيها رئيس جمعية الثقافة للجميع الاستاذ عبد جاسم الساعدي حول " جمعية الثقافة هي الحل / الثقافة النقدية في العراق وأهميتها" على قاعة نازك الملائكة.

قدم هذه الجلسة الروائي حسن البحار أشار خلالها أن" لجمعية الثقافة الدور الأكبر في استيعاب نتاجات العديد من المثقفين وخاصة ما يهدف إلى المجال النقدي، لهذا يُمكن لها أن تُعدّ الخيمة التي يلجأ تحت ظلالها المثقفين والرواد."

كما ذكر المحاضر عبد جاسم الساعدي "أن الجمعية دأبت ومنذ إنطلاقها على دعم الثقافة بشتى الصور، وكافة المجالات، وخاصةً الجانب النقدي لما لهذا الجانب من دور كبير ومميز في تطوير الثقافات، وتسليط الضوء على المنجز الثقافي، ومنحه النصح فيما لو لم يكُن بالمستوى المطلوب، في وقت نحن نلمس فيه حالة من النُدرة بالاهتمام في مجالات النقد الثقافية."

دُكّان رؤيا

ضمن الفعاليات التي شهدها شارع المتنبي صباح يوم أمس الجمعة مبادرة مؤسسة رؤيا وهو ما يُعرف بـ "دُكان رؤيا" حيث تحدث الفنان السينمائي مازن منذر والممثل عن مؤسسة رؤيا أن الفكرة التي يتضمنها هذا المشروع هو عبارة عن " شاشة لعرض افلام الفديو آرت، إضافة إلى افلام خاصة بأعمال الجمعية ومشاركاتها في مهرجانات عالمية من ضمنها مهرجان فينيسيا الدولي لعام ٢٠١٧، الهدف من وراء هذه الفكرة هي جذب الملتقي وتعريفه باساليب الاعمال الفنية التي يتم اختيارها من قبل لجان عالمية في مهرجانات دولية، ونُعطي فكرة للمتلقي ليتابع أعمال مهرجانات كبيرة مثل هذه من خلال العرض الذي نقدمه."

استبدل كتابك

كما شهدت القُشلة مشروعا ثقافيا جديدا من نوعه، ويتمثل بمعرض متنقل يضم الكثير من الكتب وبمجالات ثقافية وفنية مختلفة، يتم في هذا المعرض استبدال كتاب الزائر بكتاب آخر، لم يقرأه مُسبقاً ، الهدف من هذا المشروع هو توسيع قاعدة القُرّاء ومنحهم العديد من الخيارات في مجال الكتب وقراءتها.